Archive of SID

مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية و آدابها، فصلية محكمة، العدد ١٥، صيف١٣٨٩هـ.ش/ ٢٠١٠م، صص ٤٩ - ٦٢

دور ابن دريد في صناعة المعجم

الدكتور رمضان رضائي[١] الدكتور يدالله رفيعي[٢]

الملخص

للصناعة المعجم في كل اللغات،منها العربية، غاية الأهمية. و قدسبق المسلمون غيرهم بهذا العمل، و منهم الخليل بن احمد الفراهيدي و منهجه منهج صوتي، رتب فيه المفردات ترتيباً صوتياً أطلقوا عليه اسم معجم العين، و لصعوبة طريقته في ترتيب الحروف حاول اللغويين تيسير تلك الطريقة فيما بعد، فمن أشهر من جدّد في طريقة العين، ابوبكر بن دريد في معجمه المسمى بـ «جمهرةاللغة»و لهذا فهو يُعد صاحب طريقة جديدة، هو اوّل كتاب لغوي رُتّب على حروف أبجدية و أورد ابن دريد فيها اشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين و هذه من احدى ميزاتها. و لهذا بلغ ابوبكر ابن دريد ذروة اللغة و جعل اللغويون الجمهرة كمصدر هام في تدوين معجماتهم اللغوية و أوردوا آراءه في هذه المعجمات. ادخل ابن دريد على منهج العين تغييرات عديدة محاولة منه تيسير طريقته المعقدة و كل هذا يدل على مدى اثر ابن دريد في الدارسين واللاحقين.

المفردات الرئيسة: ابن دريد، المعجم، جمهرةاللغة ، علم اللغة.

المدخل

إن صناعة المعجم في كل اللغات، ومنها العربية، في غاية الأهمية و ترجع اولى محاولات صناعة المعجم الى لغويو العصر الاسلامى من النحاة او الادباء أو المفسرين. قيل إن اول من ألف معجما في اللغة العربية هو خليل بن احمد و سمى كتابه «العين». لكن لصعوبة طريقته في ترتيب الحروف، حاول اللغويين بعده تيسير تلك الطريقة لتكون أسهل للمطّلعين على المعجم، ومن أشهر مَنْ جدّد في طريقة

1. استاذ مساعد فى قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة «آزاد اسلامي » بتبريز brr_Rezaei@yahoo.com

2. استاذ مساعد فى قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة «آزاداسلامي» بتبريز

www.SID.ir

تاريخ الوصول: ٨٨/٤/٢ تاريخ القبول: ٨٩/٣/٣٠

Archive of SID

العين أبوبكر بن دريد في معجمه المسمى بجمهرة اللغة، ولذا فهو يُعدّ صاحب طريقةٍ جديدةٍ. أدخل ابن‌دريد على منهج العين تغييراتٍ عديدةً محاولةً منه لتيسير طريقته المعقّدة.

قد عنى بصناعة المعجم و اللغويين كثيرا و لكن البحث عن ابن دريد و آثاره قليل جدا. منه ما كتب باللغة العربيةكـ «الابداع عند ابن دريد» لفتحيه صلاح، المطبوعة فى الاردن سنة ٢٠٠٨ و «جهود ابن دريد فى الصرف و الاشتقاق» لأحمد العطية،جامعة الملک سعود سنة ٢٠٠٩ و منه ما كتب بالفارسية تحت عنوان «ابن دريد» لآذرتاش آذر نوش قد طبعت فى «مركز الموسوعة الاسلامية الكبيرة» ولكن دوره في صناعة المعجم وجهوده الفنية فى هذالمضمار، هذا ما يعنى به هذا المقال معتمدا على الوثائق العلمية.

حياة ابن دريد:

يعد أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الذى ولد عام ٢٢٣هـ بالبصرة، من أبرز علماء القرنين الثالث و الرابع الهجريين. وكان أبوه الحسن بن دريد من الرؤساء، وقد نشأه والده تنشئة أهَّلته لأن يتصدر في العلم ستين سنة، وعد بذلك - كما تذكر كتب الطبقات - رأس أهل العلم، والمقدم في حفظ اللغة والأنساب، وأشعار العرب. (حموي،١٨لاتاريخ،ص١٢٧) وكان ابن دريد حجة في اللغة ذاحافظة قوية، وعقلية نادرة، وله قصص في ذلك. وكان شاعراً مُفْلِقاً، حيث ذكر ياقوت الحموي بأنه اشتهربـ «أشعر العلماء، وأعلم الشعراء»(المصدر نفسه،١٨،ص١٢٩).

أخذ عن كثير من علماء عصره كأبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل الرياشي، وأبي عثمان الأشناندانى وغيرهم. وأخذ عنه أبو سعيد السيرافي، وأبو الفرج الأصبهاني، وابن خالويه وغيرهم الذين بلغوا عددهم الى ٦٤ تلميذا. (سنوسي، ١٩٨٤، صص٢١-٣٠ و سورتي ،١٣٤٥ق،١، ص٥-٦) وكان واسع الرواية لمير أحفظ منه؛ وكانوا يقرؤون عليه دواوين العرب فيسابق إلى إتمامها، من حفظه. وله شعر رائق. قال بعض المتقدمين: ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء. قال المسعوديّ في مروج الذهب: «كان ابن دريد ببغداد ممن برع في زماننا في الشعر. وانتهى في اللغة؛ وقام مقام الخليل بن أحمد فيها، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين. وشعره أكثر من أن يحصى»(حموي،١٨، ص١٣٦) و من تآليفه: وكتاب السرج واللجام، وكتاب الأنواء، وكتاب المجتنى وكتاب الخيل الكبير والصغير، وكتاب الملاحن و نظم حازم القرطاجني مقصورته تقليدا من ابن دريد و ايضا نظم شارح الالفية،المكودي مقصورة في مدائح النبوية وكتاب روّاد العرب، وكتاب الوشاح وصفة السحاب و الغيث و فوائد الاخباروالمقصورة و ديوان الشعروالمقتبس وغير ذلك. (آذرنوش، ١٣٦٩،ص٥٠٢) ومن جيده قصيدته المشهورة التى مدح بها، الشاه الامير ابو العباس إسماعيل بن ميكال و ولديه و قيل فيها اشتملت على نحو الثلث من المقصور. وفيها كل مثل سائر، وخبر نادر؛ مع سلاسة ألفاظ،ورشاقة

www.SID.ir

Archive of SID

أسلوب، وانسجام معان يأخذ بمجامع القلوب. (مقدسي، ١٩٧٠،ص٢٥٦-٢٦٨ ؛ ضيف العصر العباسي ج٢،ص٤٢٥) كما خلف ثروة ضخمة من كتب اللغة أشهرها الجمهرة، والاشتقاق. وتوفي سنة ٣٢١، ورثاه جحظة البرمكي بقوله:

فقدت بابن دريد كل فائدة　　لما غدا ثالث الأحجار والترب

وكنت أبكي لفقد الجود منفردا　　فصرت أبكي لفقد الجود والأدب

(ابن خلكان،لاتاريخ،٣٢٨/٤)

المعجم و علم الفهرسة:

من مراحل العمل اللغوى هى خطوات علمية متقنة قائمة على تخطيط لغوى شامل مع تقسيمات علميّة منظّمة لكلّ المفردات اللغوية، سمّيت «بالمعجم» أو «القاموس» أو «الموسوعة اللغوية» أو «اللسانية» و كان أشهرها و أولها كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدى رائد علم المعجمات اللغوية على الإطلاق فى العالم أجمع، حيث بدأ العمل بتخطيط علمى أصواتى شامل لكلّ مفردات العربية و أكمله تلامذته. و هو أول معجم شامل لكلّ مفردات اللغة العربية فى تاريخ المعجمات مطلقاً.(الحسينى، ١٣٨٤،ص١٤)

أما كلمة «المعجم» فمن مادة «عجم» الحرف و الكتاب ــ عَجمَاً: أزال إبهامه بالنقط و الشكل. «المعجم» : ديوان مفردات اللغة مرتب على حروف المعجم «ج» معجمات و معاجم. و حروف المعجم: حروف الهجاء.(مدكور و لجنة معه،١٤١٢هـ ،ص٥٨٦). يقوم علم الفهرسة على ترتيب ألفاظ معينة حسب نظام معين للدلالة على مواضع ورودها و حصرها و تقديمها للقارئ، ليكون الفهرست أشبه بالدليل و الكاشف.

و أصل اللفظ فارسي أدخله المسلمون في العربية و قالوا: فِهرِست و فِهرِس، بكسر الفاء و الراء فيهما، و عرفوه بانه الكتاب الذي تُجمع فيه الكتب. و قد اقترن اسم الفهرست باسم المعجم أو القاموس لدي البعض، و كلاهما عمل تنظيمي و ترتيبي، رأى أهل الثقافة و الفكر ضرورته و أهميته في جمع الكلمات و رصدها.

ويفترق الفهرست عن المعجم في خصائصه، فالمعجم يحشد المفردات و يرتبها بترتيب معين و يشرحها ضمن هذا الترتيب. أما الفهرست فهو عمل مساعد للقارئ في العثور على مواضع المفردات بأسرع وقت. و قد يكون الفهرست لفظياً و موضوعياً و يتخذ أشكالاً متعددة أسماها المُحدَثون الفهارس الفنية أو التحليلية، و ليس المعجم بهذا. و قد يكون المعجم مفردة من المفردات الفهرست و داخلاً في إطاره، إلا أن الاصل واحد و هو التنظيم و الترتيب.

www.SID.ir

Archive of SID

و قدسبق المسلمون غيرهم بهذا العمل، و منهم الخليل بن احمد الفراهيدي و منهجه منهج صوتي، رتب فيه المفردات ترتيباً صوتياً أطلقوا عليه اسم معجم العين، و تبعه العلماء الآخرون حسب تسلسلهم الزمنّي و منهجهم التصنيفيّ. أُطلق على منهج الخليل نظام الترتيب العينيّ. و قد أخذ به القالي في البارع و الصاحب بن عبّاد في المحيط، و هو نظام يعتمد مخارج الحروف. و لمّا كان هذا النظام صعباً على القارئ لم يستمرّ وضع المعاجم على هذا الغِرار، لذا جاء نظام التقفية القائم على ترتيب الموادّ بحسب أواخر حروفها تسهيلاً للشعراء في اختيار القوافي. و قد عُرف هذا المنهج في كتاب الصحاح للجوهريّ و القاموس المحيط للفيروز آبادي و لسان العرب لابن منظور و مجمع البحرين للطريحيّ.

و قد وجد العلماء صعوبة و مشكلات في نظام التقفية و خصوصاً في المفردات المعتلّه الآخر التي قد تأخذ وقتاً من القارئ، لذا فكّر العلماء في وضع النظام الهجائيّ الجذريّ، فألّف الزمخشري أساس البلاغة على هذا النظام الذي يعتمد أول الكلمة فثانيها فثالثها بعد إسقاط الزوائد منها و ردّها إلي أصلها الثلاثي أو الرباعي. و قد شاع هذا الترتيب إلي زماننا هذا لسهولته، و عليه الآن أكثر المعجمات الحديثة. و قد رأي البعض أن يكون ترتيب المعجم بحسب وضع المفردة دون حذف الزوائد أو ردّ لأصولها المشتقة منها، و هو ترتيب هجائيّ نُطقيّ. و هذا الترتيب عرفه العلماء القدامي في كتاب نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن لمحمد بن عُزيز السجستانيّ المتوفي ٣٣٠ و يبدو أنّ كراع النمل المتوفي ٣١٠ أخذ بهذا الترتيب. و قد رأوا أن يكون هذا الترتيب هو الأفضل و الأسهل و خاصة لغير الناطقين بالعربية، و لكي يستوعب مصطلحات العلوم و الفنون و الألفاظ المعربة الحديثة عند تدوين معجم متخصص في شتّي العلوم إلا أنّ الترتيب الهجائي الجذري الذي يعتمد أصل المفردة دون الزوائد الملحقة بها هو القبول لدي الجمهور أهل الأدب و العلم، و رُتّب كتاب العين، و جمهرة اللغة، و عليه ينبغي ترتيب معجمات التراث.

صناعة المعجم

لفظة معجم: أخذت لفظة معجم من عبارة «حروف المعجم» التي عرفت بها حروف الهجاء و هي الحروف التي تتميز عن سواها بالنقط. على أن أحدا لا يدري يقينا متي ظهرت لفظ معجم. و يبدو أنها اطلقت في ميادين أخرى، ثم انتقلت من بعد الي اللغة. (الشلقاني،١٩٧١، ص٤-٥) و إن قيل كيف بدأت صناعة المعجم لابد أن نقول: إن عددا من الباحثين العرب اهتموا بعلوم اللغة منذ بداية الحركة العلمية في إطار الدولة الإسلامية، فكانت لهم جهودهم في مجالات الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة والمفردات. وكان المشتغلون بعلوم اللغة يصنفون إلى مجموعتين: تهتم المجموعة الأولى ببنية اللغة، وتهتم

www.SID.ir

Archive of SID

المجموعة الثانية بمفردات اللغة ودلالاتها. وقد وُصِفَ مجال البحث عند المجموعة الأولى بأنه " النحو " أو " علم العربية "،كما فعل سيبويه في كتابه المسمي بالكتاب. بينما وصف مجال بحث المجموعة الثانية بأنه " اللغة " أو "علم اللغة"، أو "فقه اللغة" أو " متن اللغة "كما فعل الخليل في كتابه المسمي بالعين. وإلى جانب هذه المصطلحات، ولكل منها تاريخ مستقل، وُجدت محاولات لوصف علوم اللغة مجتمعة، فسميت " علم اللسان " أو " علوم اللسان العربي " أو " علوم الأدب " أو " العلوم العربية "، كما وجُدت إلى جانب هذا، محاولات لبيان ترابط هذه الأفرع وإيضاح النسق الذي يتخذه كل منها في إطار البحث اللغوي العام.

و أما الذين جمعوا اللغة في كتبهم ففعلوا هذا في مراحل ثلاث تطورت بإتجاه المعجم الشامل:

المرحله الأولى: جمع العرب في أثنائها الكلمات من غير أن يتبعوا طريقة محددة. فقد كان الأصمعي مثلا يقصد الأعراب فيسمع منهم اللفظ الغريب و يدونه في ألواحه الى أن اشتهر اسمه بالغريب(المرجع نفسه، ص٦٩) و كان الذين نقلت اللغة عنهم و اقتدي بهم أخذ اللسان العربي عنهم من بين القبائل العرب، هم: قيس و اسد و تميم ثم هذيل و بعضها كنانة و بعض الطايين.(السيوطي، لا تاريخ، ج١ ص٢١١)

المرحلة الثانية: جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد، كالالفاظ المتعلقة بالمطر، أو بالدواب أو بالغيم أو ما الى ذلك مما شكل فيما بعد ما يسمى «معاجم المعاني».

المرحلة الثالثة: جمع كل الكلمات العربية بطريقة معينة. و هذه هي مرحلة المعاجم المجنسة.

على هذا تنقسم المعاجم الى نوعين: معاجم الالفاظ و يقال لها المعاجم المجنسة و هي تناول الفاظ اللغة كلها بلاتمييز و معاجم المعاني و يقال لها ايضا المعاجم المبوبة و هي جمع الالفاظ المتصلة بموضوع واحد فقط، كموضوع المطر أو الجياد أو شواذ اللغة أو ما إلى ذلك. فى هذا المجال يقول شوقى ضيف(٢٠٠٤، ج٢،ص١٢٠): و من يمعن النظر فيما سجلت كتب طبقات اللغويين و النحويين لهولاء العلماء من مصنفات يجدها تتطور فى موضوعات جزئية مفردة مثل كتاب الفرس و كتاب الابل الى تاليف المصنفات المطولة حتى لتتحول إلى معاجم لغوية على شاكلة كتاب الغريب المصنف لأبى عبيد.

اول معجم من المعاجم المجنسة «كتاب العين» الذي صنفه الخليل بن احمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥هـ. يعد هذا الكتاب اول معجم كامل الالفاظ عند العرب و قد قيل إن الخليل لميضع الكتاب كله و فقد روي عن السيرافي أنه «عمل اول كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبط اللغة (السيوطي، لاتاريخ، ج١،ص٥٥٧).

إن الخليل جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة في مكان واحد مراعياً بذلك الناحية الصوتية؛ فهو يبدأ بأبعد الحروف من هذه الناحية. ولما كانت حروف الحلق هي الأبعد مخرجاً فهو يبدأ بها، ثم

www.SID.ir

Archive of SID

يثني باللسانية، وهي التي تليها في المخرج، ثم بالشفوية، ثم اختتم بحروف العلة. فمثلاً: الكلمات الثلاثية يكون لها ستة تقليبات، ويبدأ فيها بأبعدها مخرجاً. مثال ذلك: الكلمات التي تكون من الباء والراء والعين لها تقليبات ستة ويبدأ بأبعدها مخرجاً وهي العين، ثم بالراء؛ لأنها لسانية، ثم بالياء؛ لأنها شفوية. هكذا: ١- عرب ٢- عبر ٣- رعب ٤- ربع ٥- بعر ٦- برع.

وهذا ما يعرف بالتقليبات الصوتية، فالخليل وضع الحروف على حسب مخارجها؛ فبدأ بأبعدها مخرجاً وهو العين فسمى معجمه بذلك.وهذا تأليفه للحروف: ع ح هـ خ غ/ق ك/ج ش ض/ص س ز/ط د ت/ظ ث ذ/ر ل ن/ف ب م/و ى/ همزة. (للمزيد الاطلاع ترجى المراجعة الى مقدمة تحقيق في كتاب العين للدكتور مهدي المخزومي و الدكتور ابراهيم السامرائي)

هذا وقد تَبِعَ الخليلَ بنَ أحمدَ في هذه الطريقة علماءُ كثيرون، من أشهرهم: أبو علي القالي ت٣٥٦هـ في معجمه (البارع)، وأبو منصور الأزهري ت٣٧٠هـ في معجمه (التهذيب)، وابن سيدة ت٤٥٨هـ في معجمه (المحكم).

و قد علّل تسمية كتابه بالعين فى مقدمته حيث جاء فيها: قال الخليل فأقصى الحروف كلّها العين، ثم الحاء، و لولا بحة فى الحاء لأشبهت العين، لقرب مجرجها من العين، ثم الهاء و لولا هتة فى الهاء ـ و قال مرّة ههة ـ لأشبهت الحاء، لقرب مخرج الهاء من الحاء. فهذه ثلاثة أحرف فى حيّز واحد بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء و الغين فى حيّز واحد كلهنّ حلقية ثم القاف و الكاف لهويتان و الكاف أرفع.(ابن احمد فراهيدى،خليل،١٩٦٧،ص٦٤)

و لما كانت طريقة الخليل صعبة، و تحتاج إلى معرفة الأصوات، مما قلل الاستفادة من المعاجم التي تأخذ بهذه الطريقة، فأخذ ابن‌دريد يتبع طريقة أخرى في التقليبات حسب أول الحروف ترتيباً من الناحية الأبجدية؛ فالمادة الثلاثية وتقليباتها الستة توضع تحت أول الحروف ترتيباً من هذه الناحية. فانفرد بهذه الطريقة في كتابه الجمهرة. الذى يمثل نظاماً جديداً من التأليف مختلفاً عن نظام الخليل وما تبعه من المعاجم التي سارت وفق مدرسة التقليبات الصوتية.

المدرسة الدريدية فى المعجم

قسمت المعاجم اللغوية - حسب طريقة ترتيب الألفاظ فيها، وجمعها في أبواب مرتبة ترتيباً معيناً - إلى أقسام ثلاثة، سموها: المدارس المعجمية. ومعرفة هذه المدارس تعين على الاستفادة من تلك المعاجم، حيث تُعَرِّف طريقةَ مؤلفيها، ومناهجهم.

المدرسة الأولى: هي مدرسة التقليبات الصوتية بنوعيها، الصوتية، والأبجدية.والمدرسة الثانية: مدرسة القافية والمدرسة الثالثة: مدرسة الأبجدية العادية. لما لميكن هنا مجال لشرح هذه المدارس كلها، فسنقتصر على شرح مدرسة الجمهرة على سبيل الإيجاز.

www.SID.ir

Archive of SID

يعد ابن‌دريد من أشهر مَنْ جدّد في طريقة العين في معجمه، ولذا فهو صاحب طريقةٍ جديدةٍ حيث أدخل على منهج العين تغييراتٍ عديدةً محاولةً منه تيسير طريقته المعقّدة، وجاءت تغييراته على النحو التالي:

الأساس الأول : تقسيم المعجم إلى الأبنية قسّم الكتاب إلى الأبنية التالية بالنظر إلى حروفها الأصول :

أ- الثنائيّ المضاعف وما يلحق به .

ب- الثلاثيّ وما يلحق به .

ج- الرباعيّ وما يلحق به.

د- الخماسيّ وما يلحق به .

وأتبع هذه الأبواب أبواباً للّفيف والنوادر . أي أن ابن دريد جعل تقسيم الأبنية هو الأساس الأول في معجمه، وليس كما جاء في العين، ففي العين قسّم كتابه إلى حروف، وكلّ حرف قسّمه إلى أبنية، أمّا ابن دريد فقد عكس ما في العين، ولذا ففي كل معجمه بناء واحد للثنائي المضاعف، وواحد للثلاثي .. وهكذا، وتحت كل بناء جميع الحروف العربية.

الأساس الثاني : تقسيم كلّ بناء إلى حروف قسّم كلّ بناءٍ إلى أبوابٍ طبقاً للحروف على الترتيب الألفبائيّ، فبدأ بحرف الهمزة، ثم حرف الباء ثم التاء وهكذا بقية الحروف على الصورة التالية : أ / ب / ت / ث / ج / ح / خ / د / ذ / ر / ز / س / ش / ص / ض / ط / ظ / ع / غ / ف / ق / ك / ل / م / ن / هـ / و / ي.

بدأ كلّ بابٍ بالحرف المعقود له مع ما يليه في الترتيب الألفبائيّ، فمثلاً في باب (التاء) بدأ بها مع الثاء، ثمّ بها مع الجيم، وبعد نهاية الحروف تأتي التاء مع الهمزة، ثمّ التاء مع الباء . وهنا يختلف الجمهرة عن العين لكونه رتّب الحروف على الترتيب الألفبائي وليس الترتيب الصوتي، وهذا من مواطن التجديد في الجمهرة .

الأساس الثالث : تقليب الكلمات قلّب الألفاظ التي تقع تحت كل حرف على الصور المستعملة في العربية .

البحث عن كلمة في الجمهرة يحتاج الى المحاولات التالية:

١- تجريد الكلمة من الحروف الزائدة لنعرف الحروف الأصلية .

٢- تحديد البناء الذي تدخل تحته الكلمة (الثنائي أو الثلاثي أو الرباعي أو الخماسي)، ثم الاتجاه إلى ذلك البناء في الجمهرة .

٣- البحث عن الكلمة تحت أول حروفها على الترتيب الألفبائي، ثم الذي يليه، ومع الكلمة بقية تقلباتها.

www.SID.ir

Archive of SID

فعلى سبيل المثال حين يبحث عن كلمة« أكل» في الجمهرة فيجدها الباحث في باب الثلاثي تحت حرف الهمزة ثم الكاف لأن الهمزة أول الحروف على الترتيب الابجدية ثم الكاف ثم اللام، ونجد معها المستعمل من تقلباتها (ألك، كلأ، كأل، لكأ، لأك). أو«قعد» فهي في باب الثلاثي تحت حرف الدال مع العين لأن الدال أولها على الترتيب الابجدى ثم العين ثم القاف، أي أنها تحت(دعق) ومعها المستعمل من تقلباتها مثل (دقع، قدع، قعد، عقد، عدق) و كذلک «شدّ» في باب الثنائي تحت حرف الدال لأنه أول حروفها على الترتيب الألفبائي، ومعها تقلباتها المستعملة و«لعب» في باب الثلاثي تحت حرف الباء لأنه أولها على الترتيب الألفبائي، ومعها تقلباتها . (رزق) في باب الثلاثي تحت حرف الراء، ومعها تقلباتها .

هدف ابن دريد من املاء الجمهرة

أما الهدف فواضح من مقدمة الجمهرة، ويكاد ينحصر في أمرين:

١- جمع الألفاظ الشائعة المألوفة والبعد عن الوحشي المستنكر.

٢- جمع الألفاظ بطريقة ميسرة خلاف ما كانت عليه طريقة الخليل.

قال ابن دريد في مقدمته: "قد ألف أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي كتاب العين، فأتعب من تصدى لغايته، وعنَّى من سما إلى نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف، والمعاند متكلف، وكل من بعده له تبع، أقر بذلك أم جحد، ولكنه -رحمه الله- ألف كتابه مُشاكلاً لِثُقُوب فهمه، وذكاء فطنته، وحدة أذهان أهل دهره.

وأملينا هذا الكتاب والنقصُ فيالناس فاش، والعجز لهم شامل، إلا خصائص كدَرَارِيِّ النجوم في أطراف الأفق، فسهَّلنا وعره، ووطأنا شَأزَه، وأجرينا على تأليف الحروف المعجمة؛ إذ كانت بالقلوب أعبق، وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة. و طالبها من هذه الجهة بعيدا من الحيرة مشفيا على المراد. (ابن دريد،١٤٢٦ق، ١/٢٣) وفي سبب تسمية هذا الكتاب يقول ايضا في مقدمته:«وألغينا المستنكر الوحشي، واستعملنا المعروف، و إنما أعرناه هذا الاسم (الجمهرة) ؛ لأنا احترنا له الجمهور من كلام العرب، وأرجأنا الوحشي المستنكر".(المصدر نفسه،١/٢٤) قال السيوطي : "وقال بعضهم: أملى ابن دريد الجمهرة في فارس، ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه، و لم يستعن عليها بالنظر في شيء من الكتب إلا في الهمزة واللفيف؛ فلذلك تختلف النسخ، والنسخة المعول عليها هي الأخيرة، وآخر ما صح نسخة أبي الفتح عبيدالله بن أحمد بن محمد النحوي المعروف بجَخْجَخْ؛ لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه".(السيوطي،١٩٨٦، ١/٩٤) وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات، ومنها طبعة دار صادر بيروت وتقع في أربعة مجلدات.

www.SID.ir

Archive of SID

منهج ابن دريد في صناعة المعجم و فضله على منهج الخليل

يعد معجم الجمهرة ثاني معجم شامل في العربية بعد كتاب العين، وقد حاول ابن دريد أن يخالف الخليل في ترتيب المواد، فابتكر نظاماً جديداً للتقليبات وهو تقليب المادة حسب حروفها ترتيباً أبجدياً. وهو في هذا قد سلك مسلكاً جديداً في ترتيبه للمواد المعجمية، و لم يتبعه في هذا أحد من أصحاب المعاجم من بعد.ولهذا يعده بعض الباحثين ممثلاً لمدرسة جديدة هي مدرسة التقليبات الأبجدية.

أما في غير ذلك فقد نهج نهجاً لا يختلف عن منهج الخليل في معجم العين. فقد تبع منهج خليل الأصواتي، ابن دريد فى كتابه الجمهرة مستعملا هذه التقليبات الست لسائر المفردات اللغوية و مشيرا إلى التسلسل الكميّ فى علم بنية الكلمة و المفردات الغريبة، حيث أشار إلى المفردة اللغوية ذات الحرفين أو الثلاثة أو الاربعة أو الخمسة، و لكثرة التشابه بين نصوص الخليل فى كتاب العين و نصوص ابن دريد فى الجمهرة عابه نفطويه.(مقدمة الجمهرة)

ولذلك يمكن أن يوجز المنهج الذي سار عليه ابن دريد فيما يلي:

١- أرجع الكلمات إلى حروفها الأصلية، فجرد الكلمة من الزوائد، وأرجع المقلوب إلى أصله، وشأنه في هذا شأن جميع المعاجم.

٢- اتبع نظام التقليبات للكلمة، ولكنها التقليبات الأبجدية؛ فإذا تحدث -على سبيل المثال- عن (ب ر ك) تحدث بعدها عن جميع تقاليبها وهي: (ب ك ر) و(ر ب ك) و (ر ك ب) و (ك ب ر) و (ك ر ب) وهكذا في كل المواد؛ حيث يقلبها حسب التقليب الأبجدي لا التقليب الصوتي. وهذه أسهل من طريقة الخليل.

٣- جعل الأبنية هي الأساس الأول في تقسيمه للمعجم، ثم قسمها إجمالاً كتقسيم الخليل، فهي عنده ثلاثيةٌ - والثلاثي يشمل الثنائي المضعف - ورباعيةٌ، وخماسية وملحقات بكل بناء.

أما تفصيلاً فقد اضطرب إلى حد كبير، فقد تنوعت الأبنية في الجمهرة تنوعاً كبيراً حتى إن بعض الباحثين حصرها في سبعة عشر باباً وهي: الثنائي الصحيح، والملحق ببناء الرباعي المكرر، والمعتل، والثلاثي الصحيح وما تشعب منه، وما اجتمع فيه حرفان مثلان في أي موضع، وما عين الفعل منه أحد أحرف اللين، والثلاثي المعتل، وباب النوادر في الهمز، وباب اللفيف في الهمز، وأبواب الرباعي الصحيح، والرباعي الذي جاء فيه حرفان مثلان، والرباعي الذي جاء على أوزان ضعف فيها الحرف الرابع، وما ألحق بالرباعي والخماسي والسداسي، واللفيف، وأبواب متفرقة من النوادر.

٤- أورد في مقدمته بحوثاً لغوية مهمة، تعد مكملة لبحوث الخليل ولا تخلو من فوائد عظيمة في مجال البحث اللغوي الحديث.

www.SID.ir

Archive of SID

وقد بدأ هذه المقدمة باستنكار الطعن في السلف، والإزراء بالعلماء السابقين.ثم تحدث - في المقدمة أيضاً - عن ضرورة معرفة حروف المعجم، وما يأتلف منها وما لا يأتلف، وسبب ذلك. كما ذكر عدد الحروف وهي تسعة وعشرون حرفاً، ما يختص العرب بنطقه منها وما لا يختص وما لم يجئ من الحروف في لغة العرب.

أفرد باباً لصفة الحروف وأجناسها، وذكر أنها سبعة أجناس يجمعهن لقبان: المصمتة، والمذلقة، مبيناً معناهما، وعرض لبقية الصفات، وهي الهمس والجهر والشدة، شارحاً كل نوع، وذاكراً حروفه. وذكر مخارج الحروف وأجناسها، فبدأ بالحلقية، ثم حروف الفم، ثم المخارج الشفوية. كما ذكر أنه لا بد للباحث من معرفة الحروف الأصلية والزائدة، وعقد فصلاً في ذلك مبيناً مواضع زيادة الحروف. و عقد فصلاً للأبنية، وسماه باب الأمثلة، فذكر أنها ثلاثية، وأنها عشرة ورباعية وخماسية، وذكر أبنية كل نوع والأمثلة التي وردت منه.

يفهم مما ذكره ابن دريد في المقدمة - أيضاً - أن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب الواو والياء والهمزة، وأقلها استعمالاً - لثقلها على ألسنتهم - الطاء والدال، وأن الثلاثي أكثر الأبنية. ثم أخذ بعد ذلك في ذكر المواد اللغوية وشرحها.

مميزات معجم الجمهرة

جاء معجم الجمهرة بعد معجم العين مباشرة، وقد حاول فيه صاحبه أن يتحاشى ما وقع فيه الخليل في كتاب العين، ويمكن إجمال مميزات الجمهرة فيما يلي:

١- ابتعد ابن دريد عن نظام التقليبات الصوتية، واتبع نظام التقليبات الأبجدية، وهي - على كل حال - أيسر.

٢- انفرد ابن دريد ببعض الصيغ كما انفرد ببعض الشواهد. مثلاً جاء في «أب»، والأب: المَرْعى. قال الله عزَّ وجلّ: "وفاكِهَةً وأبا ". قال الشاعر:

جذمنا قيس ونجد دارُنا ولنا الأب بها والمَكْرَعُ

والمَكْرَع: الذي تكرع فيه الماشية مثل ماء السماء، يقال: كَرَعَ في الماء، إذا غابت فيه أكارعُه؛ وكذلك نخل كوارع، إذا كانت أصولها في الماء. وأب أبا للشيء، إذا تهيّأ له أو همّ به. (ابن دريد، الجمهرة، أبب)

www.SID.ir

Archive of SID

٣- اعتنى باللهجات الواردة عن القبائل العربية، ونسبها إلى أهلها. مثلاً جاء في «أتي» وأتى يأتي أتْياً ويأتو أتواً حَسَناً. وأنشد:

يا قوم ما لي وأبا ذؤيبِ كنتُ إذا أَتَوْتُهُ من غَيْبِ
يَشَمُّ عِطفي ويَمَسّ ثوبي كأنّني أَرَبْتُه بِرَيْبِ

قال أبو بكر: هكذا لغة هُذيل، أتا يأتو أتواً. ويقال: ما أحسَنَ أَتْوَ قوائم الناقة وأتْيَها في السير. والأَتِيّ: السيل بعينه يأتيك من بلدٍ مُطِرَ من غير بلدك. ويقال: أتِّ لمائك، أي سهِّل له سبيلاً يجري فيه. وذلك السبيل: الآتِيّ.ورجل أتِيّ وأتاوِيّ، وهو الغريب. وآتى يؤتي إيتاءً في معنى أعطى. والإتاوةُ: الخَراج أو الجزية يؤدّيه القومُ إلى الملك. ويقال: ما أحسَنَ أتاء هذا النخل، أي ما أحسنَ ثمرَه، وكذلك الزرعُ. (المصدر نفسه، مادة أتي).

٤- اعتنى بالشواهد القرآنية والحديثية وكلام العرب. مثلاً جاء في «بتك»: بَتَكَ الشيءَ يبتُكُه بَتْكاً، إذا قطعه. وسيف باتِك وبَتوك، إذا كان صارماً. وفي التنزيل: "فَلَيُبَتِّكن آذانَ الأنْعام ". والبِتْكَة: القِطعة من كل شيء، والجمع بِتَك. قال زهير:

حتى إذا ما هَوَتْ كَف الوليد لها طارت وفي كفه من رِيشها بِتك

وكَبَتَ الله أعدامه كَبْتاً، إذا ردهم بغيظهم. والعدوّ مَكبوت، والفاعل كابِت. وقد كتبَ الكتابَ يَكتبه كَتْباً، إذا جمع حروفَه. وأصل الكتب ضَمُّكَ الشيء إلى الشيء. وكتبت المَزادةَ وغيرَها أكْتُبها كَتْباً، إذا خَرَزْتَها. والخرْزَة: الكتْبَة، والجمع الكُتَب. وكتبتُ البغلة أكتبها وأكتُبها، إذا ضَمَمْتَ أشْعَرَيها بحَلْقَة. قال الشاعر:

لا تَأمَنَن فَزارياً خَلَوْتَ به على قَلُوصك وآكْتُبْها بأسيارِ

وكتَّبت الكتيبةَ، إذا ضَمَمْتَ بعضَ أهلها إلى بعض. ويقال: رجل حسن الكِتْبَة والكِتابة. والمُكْتِب: الذي يعلَم الكتابة. والمُكاتَب: الذي يشتري نفسَه ويكاتِب عليها.وبنو كَتْب: حيّ من العرب. والكُتّاب: سهم صغير يتعلم به الصِّبيان. قال: والكُتّاب بالتاء والثاء. وبَكَّتُ الرجلَ تبكيتاً، إذا وبَّخته. (المصدر نفسه، مادة بتك).

٥- اعتنى بالإشارة إلى الألفاظ المُعَرَّبة والدخيلة. مثلاً جاء في «بخت» : والبخت: فارسي معرَّب، وقد تكلمت به العرب، وهو الجد. و اذا جمعت مثال أُضحية و أُقضية فرأيته ليس بمنسوب جاز فيه التشديد و التخفيف، نحو قولك: أضاحٍ و أضاحيّ و أمانٍ و أمانيّ، و إذا رأيته منسوباً مثل

www.SID.ir

Archive of SID

زربية و زرابيّ شدّدت، و قد يُغلط فيه فيقال: بخاتٍ و زرابٍ و بخاتى. و أنشد: بَخاتِي قطـــار مـــدّ أعناقَها السفرُ قال أبو بكر: و يروي: السفر، جمع سِفار، و هي الحديدة نحو الحَكَمة على الفرس. (المصدر نفسه، مادة بخت).

الخاتمة

اهتم العلماء المسلمون بوضع معجم جامع للغة العربية لأن علم اللغة مفتاح العلوم كلّها. بعد أن وضع الخليل بن احمد اساس العمل المعجمى، خطا ابن دريد خطوات رائدة و مكملة لهذا العمل الكبير فقد جاء بمواد أهملها الخليل و منع استعمالات أجازها الخليل و ضبط نصوصا و مواضع كثيرة انفرد بها و جاء من الشروح و الشواهد و الأمثال ما لا نجده عند الخليل. ذكر ابن دريد الاستعمالات الحديثـــة المولدة فى زمانه و جاء بالالفاظ المعربة التى كانت متداولة آنذاک كلغة معتبرة. صارت جمهرة ابـــن دريد مصدراً هامّاً لعلمىَ غريب القرآن و الحديث. امّا منهج الجمهرة هو نظام التقاليب الذى يعـــدّ أكثر تعقيداً من منهج الخليل و منهج يقوم على اساس الابنية و فى مجال علم الاصوات تُعدّ جمهرة ابن دريد مصدراً مهمّاً من مصادر دراسة اللهجات العربية القديمة فقد ساهمت مقدمته و ابواب الجمهـــرة فى تثبيت هذه اللهجات. بعد ابن دريد نهج علماء كثيرون منهجه و اعتدوا على جمهرته فى وضـــع معاجمهم و منهم ابن منظور فى لسان العرب. على أىّ حال لّما رأى ابن دريد زهد العصر فى الادب و تثاقلهم عن الطلب، و عداوتهم لما يجهلون و تضييعهم لما يُعلَّمون ارتجل الكتاب المنسوب إلى جمهرة اللغة. و ابتدأ فيه بذكر الحروف المعجمة التى هى اصل تفرّع منه جميع كلام العرب و عليهـــا مـــدار تأليفه و إليها مآل أبنيته و بها معرفة متقاربه من متباينه و منقاده من جامحه.

المصادر و المراجع

- آذرنوش، آذرتاش(١٣٦٩)،ابن دريد، دايرة المعارف بزرگ اسلامى،ج٣،تهران.
- ابن خلكان،(١٩٧٧)،وفيات الأعيان، دار صادر.
- ابن احمد الفراهيدى،خليل، (١٩٦٧) العين، بغداد.
- ابن دريد،ابو بكرمحمد،(١٣٨٤ ش)،ترتيب جمهرة اللغة، مشهد، الطبعة الاولي، آستانة الرضوية المقدسة.
- بن مراد، ابراهيم،(١٩٨٧) دراسات فى المعجم العربى، تونس، ط.الاولى، دار الغرب الاسلامى.
- حموى،ياقوت،(١٩٣٦)، معجم الادباء، بغداد.
- رشاد الحمزاوى، محمد، (١٩٨٦)، من قضايا معجم العربى قديماً و حديثاً، ط.الاولى، دار الغرب الاسلامى.

www.SID.ir

Archive of SID

- سنوسي،مصطفي، (١٩٨٤)، تحقيق و مقدمة علي التعليق من امالي ابن دريد.
- سورتي،محمد، (١٣٤٥ق)، المقدمة الاولي علي جمهرة اللغة لابن دريد،بغداد.
- سيوطي، جلال الدين، (لاتاريخ)، المزهر، دار إحياء التراث العربي.
- الشلقاني، عبد الحميد، (١٩٧١)، رواية اللغة، دار المعارف.
- ضيف، شوقي، (٢٠٠٤) العصر العباسي الثاني ،الطبعة السادسة عشرة،دار المعارف.
- المخزومي، مهدي و السامرائي، ابراهيم،(١٩٩٥) تحقيق في كتاب العين للخليل ابن احمد .
- مقدسي، أنيس، (١٩٧٠)، المقصورة الدريديه، مجلة مجمع اللغة العربية،رقم٤٥،جزء٢، دمشق.

www.SID.ir

Archive of SID

نقش ابن درید در تدوین فرهنگ لغت

دکتر رمضان رضائی

استادیار زبان وادبیات عربی دانشگاه آزاد اسلامی واجد تبریز

دکتر یدالله رفیعی

استادیار زبان وادبیات عربی دانشگاه آزاد اسلامی واجد تبریز

چکیده

بدون تردید «تدوین فرهنگ» در زبان عربی و در تمامی زبان‌ها دارای اهمیت ویژه ای است. در زبان عربی این کار از عصر اسلامی آغاز شد. زبان‌شناسان این دوره نحـوی، أدیـب و یـا مفـسر بودند. خلیل ابن احمد فراهیدی اولین کسی بود که به تدوین فرهنگ اقدام کرد. وی کتـابش را «العین» نامید. اما دشواری شیوه «العین» در ترتیب حروف باعث شد که برخی از زبـان شناسـان در آسان سازی آن شیوه بکوشند . ابن درید از معروف ترین کسانی بود که در نـوآوری شـیوه العین کوشید و در فرهنگ خود به نام «جمهرة اللغة» ؛ شیوه‌ای جدید بنا نهاد تا کتـابش اولـین کتاب لغتی باشد که بر اساس حروف ابجدی مرتب شده است. وی مواردی را در لغت آورد که در کتاب های پیشینیان نیامده بود و این یکی از ویژگی های فرهنگ اوست. پـس از وی زبـان-شناسان جمهرة اللغة را به عنوان مرجعی مهم در تدوین فرهنگ زبان قـرار دادنـد. در واقـع ابـن درید دانشمندترین شاعران و شاعرترین دانشمندان بود. نقش وی در تدوین فرهنـگ زبـانی و آسان سازی شیوه پیشینیان بی‌نظیر است.

واژگان کلیدی: ابن درید، فرهنگ نویسی، زبان‌شناسی، جمهرة اللغة.

www.SID.ir